أسر الجنديين الإسرائيليين: رواية جديدة

كتب إيلي الفرزلي:

لم تكن عملية أسر الجنديين الإسرائيليين في الثاني عشر من تموز 2006، في خلة وردة، على بعد أمتار من السياج الحدودي الشائك بين لبنان وفلسطين المحتلة، هي العملية الأولى من نوعها منذ عملية أسر ثلاثة جنود إسرائيليين في مزارع شبعا اللبنانية المحتلة في العام 2000، وبعدها بفترة وجيزة عملية خطف العقيد في «الموساد» الحنان تننباوم.

حاولت المقاومة على مدى ست سنوات تنفيذ أكثر من عملية أسر، فشل معظمها، وكان آخرها كمين الفجر في 21 تشرين الثاني 2005، وسقط خلاله ثلاثة شهداء... وبينما كان الإسرائيليون «يحتفلون» بإحباط الهجوم، بدأت المقاومة التحضير للعملية التالية. حق المقاومة في محاولة أسر جنود إسرائيليين ومبادلتهم، كان حقاً مقدساً بالنسبة لـ «حزب الله». هذا ما ردّده الأمين العام لـ «حزب الله» السيد حسن نصرالله أكثر من مرة أمام المشاركين في طاولة الحوار الوطني في مجلس النواب، عشية تموز 2006.

ومن يعد إلى خطاب السيد نصرالله في تأبين شهداء عملية الفجر الثلاثة يجد الجواب نفسه. قال «السيد» بالحرف الواحد: «هذا واجبنا وربما نقوم بغيرها... ما حدا يتفاجأ». لكن الرسالة صارت أقوى في 28 نيسان 2006، وخصّ بها عميد الأسرى سمير القنطار: «وَعْدُنا لك أن لقاءنا سيكون قريباً جداً جداً جداً».

حتى في اللقاءات السياسية الثنائية التي عقدها السيد نصرالله مع عدد من القادة السياسيين، وأبرزهم الرئيس سعد الحريري، كان شفافاً في القول إن المقاومة لن تتخلى عن الأسرى وعندما تجد الظرف ملائماً لن تتردد.

7 أشهر من التخطيط الدقيق والمناورات الشتوية والصيفية التي تبين أنها أجريت في منطقة أعدتها المقاومة لتحاكي، بشكل دقيق، مكان التنفيذ الفعلي، بتضاريسه ومعالمه كافة.

أبرزت التحضيرات أن العقل الأمني والعسكري للمقاومة، وتحديدا «المايسترو» الشهيد عماد مغنية (الحاج رضوان)، كان يجد مع كل محاولة تفشل دافعاً أكبر لتفادي كل الثغرات التي رافقتها.

(التتمة ص 12)

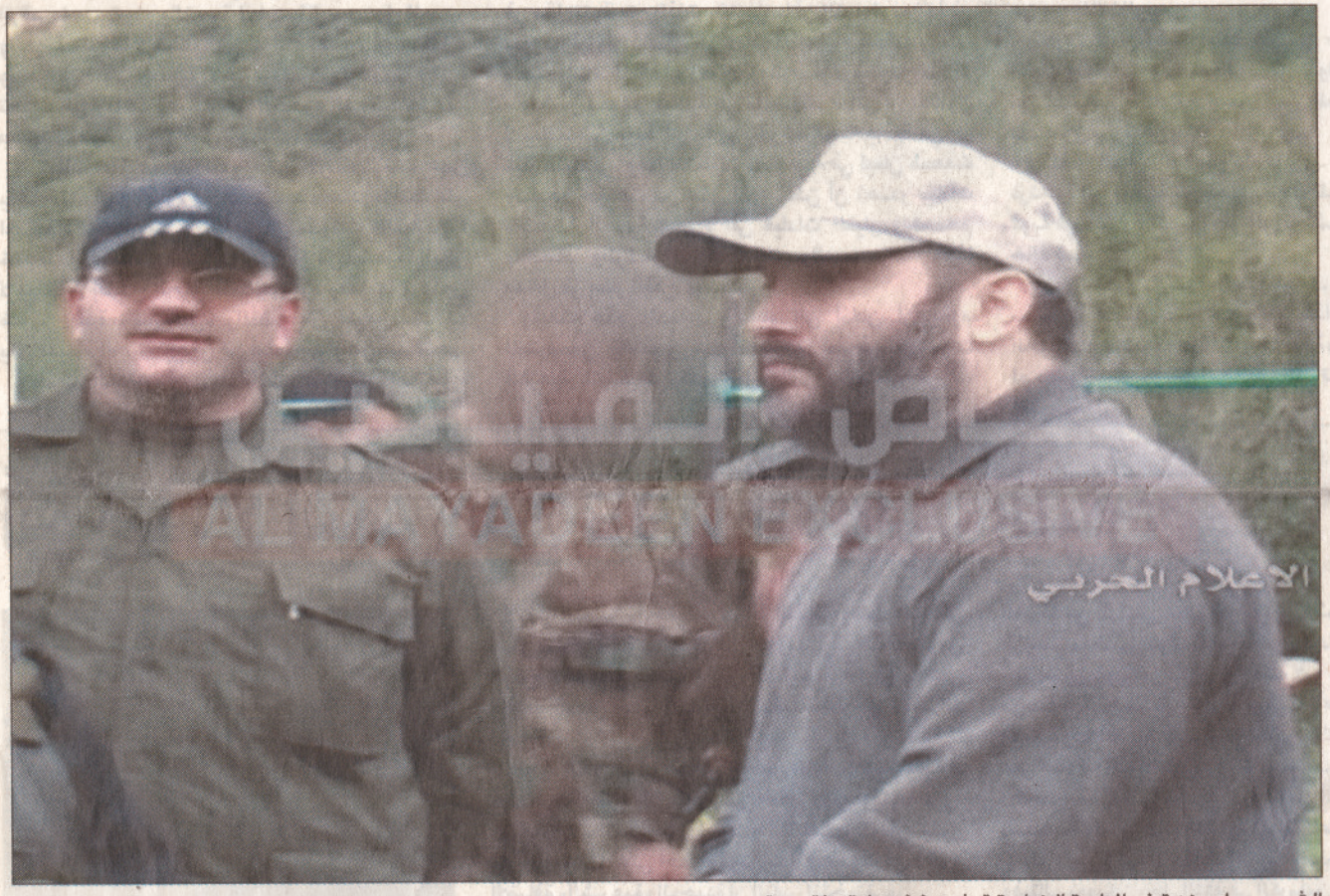

الشهيد عماد مغنية في المناورة الختامية قبيل تنفيذ عملية خلة وردة (عن شريط الميادين)

«الميادين» تعرض غداً شريطاً يوثّق العملية من ألفها إلى يائها

هكذا أسرت المقاومة الجنديَّين الإسرائيليَّين.. بإشراف مغنيّة

عناصر المقاومة يخترقون السياج الحدودي

مجموعة الأسر تحيط بسيارة الهامر الإسرائيلية

ما إن صدر القرار 1559 في الخامس من حزيران 2004، حاملاً عنواني الانسحاب العسكري السوري من لبنان ونزع سلاح الميليشيات كافة، حتى وضعت إسرائيل خطة ضخمة («درع البلاد») تتكامل مع الضغط الدولي على دمشق و «حزب الله»، وتهدف إلى القضاء على الحزب عسكرياً.

يشرح رئيس أركان القوات البرية في الجيش الإسرائيلي حينها آيال رؤوفين معالم الخطة التي عمل مع قائد المنطقة الشمالية بيني غيتس على إعدادها، فيقسمها إلى ثلاثة أقسام:

1 ـ السيطرة: معركة جوية تستهدف الصواريخ، تليها تحركات برية على خط الليطاني لقطع الإمدادات.

2 ـ المكوث: مهاجمة معاقل «حزب الله» والمدن اللبنانية الرئيسية.

3 ـ الانفصال: ينتشر خلالها الجيش الاسرائيلي على طول الحدود (مع لبنان) ويبدأ بالإغارة على ما تبقى من أهداف لـ«حزب الله».

وبالفعل، بدأت المناورات في مطلع 2005، تحضيراً لعملية تؤدي إلى «تغيير الواقع الأمني في الشمال». تكرر الأسر مراراً منطقة العمليات.

التقط «حزب الله» نقطة الضعف هذه ليعمل بهدوء على تحقيق أهدافه المعلنة. فيما كان جلياً، في المقابل، بحسب ما قال المسؤولون الإسرائيليون في وثائقي أعدته «الميادين»، بعنوان «2006»، لمناسبة مرور عشر سنوات على حرب تموز 2006، إن إسرائيل كانت تنظر إلى شن الحرب ضد «حزب الله» كفعل حتمي، لم يكن يحتاج سوى إلى تحديد ساعة الصفر.

«نقطة التبليغ 105»

المنطقة التي تعرف في الخرائط المشفرة الإسرائيلية بـ «نقطة التبليغ 105»، هي كل الحكاية. في تلك المنطقة الواقعة بمحاذاة السياج الحدودي المتاخم لخلة وردة من الجهة اللبنانية (خراج بلدة عيتا الشعب)، والقريبة من مستعمرة زرعيت، نجحت المقاومة في تنفيذ عملية أسر ناجحة، لا يزال صداها يتردد حتى الآن في الأروقة الإسرائيلية، كدليل على فشل المنظومة الأمنية والعسكرية.

لكن في مقلب المقاومة، لم يقف النجاح عند حدود النتائج، بل تخطاه إلى كل ما

الشهيد عماد مغنية يشارك في المناورة الأخيرة قبيل التنفيذ

جمعت كل المعلومات المطلوبة عن المنطقة المستهدفة، والتي اختبرت بدقة متناهية، انطلاقاً من معرفة المقاومة أنها تشكّل نقطة ضعف في الميدان. فهي موجودة في أرض منخفضة جداً، لا تغطيها أجهزة المراقبة المتطورة جيداً، فضلاً عن عدم وجود إمكانية لتوفير تغطية نارية لها من أي موقع أرضي.

عماد مغنية في المناورة الختامية

صار بالامكان استحداث منطقة مناورات شبيهة بـ «نقطة التبليغ 105». وهذا ما حصل. تدريبات بالذخيرة الحية تداخل معها الشتاء بالصيف، حتى صارت نسبة النجاح في المناورات عالية. وكان ذلك كفيلًا بتحديد «ساعة الصفر». وجود «الحاج رضوان» في المناورة الأخيرة رفع المعنويات. الكل مستعد لتنفيذ الخطة بالحرف الواحد ومن دون أي زيادة أو نقصان، فالمسؤولية كبيرة وأي خطأ يمكن أن يؤدي إلى كارثة.

انتقلت المجموعة إلى خلة وردة قبل أسابيع عديدة من لحظة تنفيذ العملية، بعدما كانت قد كثّفت عمليات الرصد

الإسرائيليين، وجعلت من دورياتهم الحدودية تعيش حالة رعب يومي ناجم عن إيمان عناصرها بأنهم سيكونون هدفاً لعملية خطف وشيكة، كما قال الناجي الوحيد من العملية جندي الاحتياط تومير فاينبرغ لـ «الميادين».

الأسرى «في مكان آمن وبعيد»

يقول المعلقان الإسرائيليان عوفر شيلح («معاريف») ويوآف ليمور (القناة التلفزيونية الأولى) في كتابهما «أسرى في لبنان: الحقيقة عن حرب لبنان الثانية»، إنه عند التاسعة إلا خمس دقائق، رصدت وحدة المراقبة التابعة للجيش في منطقة زرعيت عنصراً من «حزب الله» يحمل صاروخاً مضاداً للدروع متوجّهاً صعوداً إلى الموقع العسكري على مسافة قريبة من موقع الوحدة الإسرائيلية.

في تلك الأثناء، واصلت مركبتا «الهامر» بقيادة غولدفاسر سيرهما في الطريق باتجاه «خط التبليغ 105»، حيث سجّلت في الساعة التاسعة إلا ثلاث دقائق في أجهزة التسجيل محادثة بين هاتين

تحضيراً لعملية تؤدي إلى «تغيير الواقع الأمني في الشمال». تكرر الأمر مراراً حتى حزيران 2006، حيث توج العدو الإسرائيلي مناوراته بمناورة كبرى («دمج الأذرع»)، بنى خلالها في الناصرة مدينة تحاكي مدينة بنت جبيل، وصارت أمام الجيش الإسرائيلي «خطط عدة تهدف إلى استنزاف «حزب الله» بكل الوسائل»، كما قال «وزير الدفاع» السابق عمير بيريتس.

في السياق المتصاعد للتحضيرات الإسرائيلية للحرب، كُشف عن عملية نفذها «حزب الله»، في 21 تشرين الثاني 2005، لأسر جنود إسرائيليين في المنطقة المحتلة من العباسية والفجر. فشلت العملية وسقط ثلاثة شهداء، فاحتفل الإسرائيليون بنجاحهم في كشف العملية، لكنهم غرقوا بالثقة بالنفس، حتى ظنوا أن «حزب الله» يمر «بلحظة ضعف»، كما قال رئيس الاستخبارات بين 2006 و2010 عاموس يدلين.

قبل أن تنهي إسرائيل قراءاتها للعملية، كان السيد نصرالله يكرّس، في حفل تأبين الشهداء الثلاثة، «حق المقاومة في محاولة أسر جنود إسرائيليين ومبادلتهم: «هذا واجبنا وربما نقوم بغيرها.. ما حدا يتفاجأ». والرسالة نفسها كررها في 28 نيسان 2006، لكنه خصّ بها عميد الأسرى سمير القنطار: وعدُنا لك أن لقاءنا سيكون قريباً جداً جداً جداً.

كان واضحاً منذ العام 2000 أن التحرير لن يكتمل إلا بتحرير جميع الأسرى في سجون الاحتلال الاسرائيلي. وبالفعل، نجحت المقاومة في 29 كانون الثاني 2004 بتبادل 400 أسير فلسطيني و23 لبنانياً، بينهم القياديان مصطفى الديراني والشيخ عبد الكريم عبيد والمناضل أنور ياسين، وخمسة سوريين وثلاثة مغاربة وثلاثة سودانيين وليبي واحد، وألماني، إضافة إلى رفات تسعة وخمسين شهيدا لبنانياً، في مقابل جثث لثلاثة جنود إسرائيليين أسروا في مزارع شبعا في العام 2000.

خلال سنوات التحرير، كان لافتاً للانتباه أن كل العمليات تركزت في القطاع الشرقي، لا سيما في المناطق المحتلة من شبعا والفجر والعباسية، ما خلق عملياً تراخياً إسرائيلياً في المناطق البعيدة عن

لكن في مقلب المقاومة، لم يقف النجاح عند حدود النتائج، بل تخطاه إلى كل ما سبق ورافق العملية من تخطيط وتدريب واستطلاع وتمويه، بما يدل على المكانة

◆◆◆

مناورات شتوية وصيفية بدأت منذ عملية الفجر

◆◆◆

التي وصلت اليها المقاومة آنذاك كتنظيم شديد الاحتراف لم يترك تفصيلاً، مهما كان صغيراً أو ثانوياً، إلا وعمل على وضعه في الحسبان وتهيأ له بشكل دقيق.

ويتبيّن من الصور والمعلومات، التي ستعرض في وثائقي «الميادين» يوم غد، أن التحضير لعملية خلة وردة بدأ بعيد فشل عملية الفجر (تشرين الأول 2005)، أي قبل سبعة أشهر من العملية.

ويبدو لافتاً للانتباه في الوثائقي الذي تعرضه «الميادين» ظهور القيادي المقاوم الشهيد عماد مغنية (الحاج رضوان) بالصوت والصورة، متابعاً التحضيرات عن كثب، ويعطي التعليمات الأخيرة لفرقة التنفيذ قبل انتقال أعضائها إلى الأرض.

أما الجهد الأكبر فقد كان لقائد المجموعة الشهيد المقاوم خالد بزّي (الحاج قاسم)، الذي استشهد في وقت لاحق خلال قيادته المواجهات البطولية للمقاومة ضد الجيش الاسرائيلي في قلب بنت جبيل وعند أطرافها في تموز 2006.

ويظهر الشريط كيف خاطر خالد بزي، في سياق تخطيطه للعملية، بالانتقال مع عدد من زملائه، أكثر من مرة إلى موقع خلة وردة، ابتغاءً للدقة في كل معلومة. كل شيء محسوب بالسنتيمترات: المسافة بين هذه الشجرة وتلك، بين الحفرة والسياج، بين الأرض وأعلى السياج، بين السياج وسيارتَي الهامر «باسيمون 4» و«باسيمون 4 أم»، بين السيارتَين (110 أمتار)، فضلاً عن قياس سرعتهما وسرعة الرياح وتفاصيل أخرى.

الشهيد خالد بزي أثناء تحضيره للعملية في خلة وردة، يعمل على تحديد إحداثيات قرب الشريط الشائك

«2006»: رواية الحرب

تبدأ قناة «الميادين» بعرض الفيلم الوثائقي «2006» عند التاسعة من مساء غد، في إطار تغطيتها للذكرى العاشرة لحرب تموز 2006، والمستمرة منذ الثاني عشر من تموز ولغاية 14 آب المقبل، وتحمل عنوان «تذكّروا».

وهذا العام أعطت القناة حيزاً رئيسياً للوثائقيات، فعرضت: «شركاء النصر»، وهو عبارة عن لقاءات مع عدد من الشخصيات التي كانت إلى جانب المقاومة في حرب تموز (إعداد وإخراج هالة أبو صعب)، «الشمس تشرق جنوبا» من إعداد وإخراج يارا بو حيدر، ويتحدث عن الأرض والبيئة التي احتضنت المقاومة. كما أعد وثائقي يتناول حياة فلسطينيي 48، أثناء الحرب.

فيما يبدأ عرض «رواية الحرب»، من خلال الفيلم التوثيقي «2006»، الذي يكشف للمرة الأولى عن معلومات وصور حصرية.

يتألف الوثائقي، الذي أعده وأخرجه عباس فنيش، من ثلاثة أجزاء. يتناول الأول مقدمات الحرب السياسية والعسكرية. ويكشف على لسان القادة الإسرائيليين أن الحرب كانت محضّرة سلفاً، بالخطط والمناورات والأهداف. كما يكشف عن معلومات وصور حصرية تعرض للمرة الأولى بشأن استعدادات «حزب الله» لعملية الأسر والمناورات التي أجريت بحضور عماد مغنية. كما يتضمن شهادة الجندي الإسرائيلي الوحيد الذي نجا من العملية إضافة إلى شهادات قادة إسرائيل آنذاك.

وفي جزئه الثاني («الميدان والسياسة») يستعرض الوثائقي ما تبع تلك العملية من حرب على مدى 33 يوماً. كما يكشف اعترافات من قادة إسرائيليين باتصالات عربية طالبت بكسر حزب الله ودعمت الحرب عليه. ويسرد هذا الجزء خلفيات النقاشات التي قادت إلى عملية عسكرية تدحرجت إلى حرب، وكيف وصلت هذه الحرب إلى خواتيمها مع عملية تبادل الأسرى.

ويتناول الجزء الثالث («التبادل») تفاصيل «عملية الرضوان» 2008 والمفاوضات الطويلة ودور الشهيد مصطفى بدر الدين فيها، إضافة إلى معلومات أخرى يكشفها مسؤول وحدة الارتباط والتنسيق في «حزب الله» الحاج وفيق صفا للمرة الأولى.

أجهزة التسجيل محادثة بين هاتين المركبتين تمحورت حول الأمر الذي يقلق بال الجنود في كل يوم. سأل شاني ترجمان الذي كان في المركبة الخلفية «ما إذا كانت وجبة الفطور ستكون جاهزة بعد الجولة». فرد عليه غولدفاسر بالقول: «لا تقلق سيكون كل شيء على ما يرام».

في هذا الوقت، وبحسب الكاتبَين، كان نحو عشرين مقاتلاً من «حزب الله» ينفذون انتشاراً دقيقاً. بينهم خلايا مضادة للدبابات مسلحة بقذائف «آر بي جي» وصواريخ. وبجانب السياج الحدودي، تمركزت خلية الخطف المزودة بعبوة لنسف بوابة السياج. ومن وراء منحنى كانت مركبة تنتظر بهدف الدخول بسرعة الى داخل الأراضي الإسرائيلية والقيام بإخراج المختطفين من هناك».

بدأت العملية. استهداف للمواقع الإسرائيلية المحيطة، قصف تمويهي على مناطق متفرقة، قصف سيارة «الهامر» الأولى («باسيمون 4») ثم الثانية («باسيمون 4 أم»)، قبل أن ينطلق أفراد المجموعة بدقة متناهية كل بحسب دوره في الخطة. كانت السيارة الأولى هي هدف عملية الأسر. مجموعة الرصد، رصدت أحد الجنود (تومير فاينبرغ) يفر من السيارة بعد نجاته وتعرضه لإصابات خطيرة. كان بالإمكان ملاحقته، لكن ذلك سيكون خروجاً عن الخطة. انطلقت مجموعة الخطف باتجاه «الهامر»، فأسرت الجنديين ايهود غولدفاسر والداد ريفيف، اللذين تبين لاحقاً أنهما قتلا، وعادوا جميعاً إلى «مكان آمن وبعيد».

قضي الأمر عند الساعة 9.04، حتى قبل أن تعرف القيادة الإسرائيلية تفاصيل العملية التي أسفرت عن مقتل ثمانية جنود وجرح 30 آخرين (توزعوا بين السيارتَين المستهدفتين والقصف على المواقع).

بعد عشر سنوات من العملية، صارت معظم قطع البازل متاحة، لكن المقاومة لا تزال تحتفظ بالقطعة الأخيرة: كيف تم نقل الأسيرَين اللذين أعلن السيد حسن نصرالله، في المؤتمر الصحافي الذي تلا العملية في أحد مساجد الضاحية الجنوبية لبيروت، أنهما «لن يعودا إلا بوسيلة واحدة، التفاوض غير المباشر والتبادل»... وقد صدق.

إيلي الفرزلي

خنزير برّي يسحب خالد بزّي بكيس النوم

◆◆◆

يكتشف العدو أمرك ومن دون ان تتحرك إلا عند الضرورة القصوى؟ كلّ في مكانه طيلة فترة الانتظار. وحتى قضاء الحاجة يحتاج إلى تكتيكات خاصة.

حصل طارئ: باغت خنزير بري المقاوم خالد بزي أثناء نومه في كيس النوم ليلاً وسحبه بعيداً. لا مجال للتحرك أو لأية ردة فعل. أية مقاومة قد تفضح أمر المهمة وتعرّض المجموعة للخطر. بقي خالد بزي على هدوئه وثباته. ولم يتحرك من المكان الذي سحبه إليه الخنزير. بعد رحيل الأخير، قضى خالد الليل حيث تركه الحيوان البري، وقد تبين أنه مكان قريب جداً من السياج، قبل ان يعود عند الصباح إلى مكانه، بعدما تأكد من أن الوضع يسمح بانتقاله بهدوء.

إشارات متناقضة

أثناء مكوث عناصر المجموعة في خلة وردة، كان الاستنفار على أشده في الجانب الإسرائيلي. رصد الجيش الاسرائيلي تحركات المجموعة أكثر من مرة خلال رحلات الاستكشاف العديدة التي أجريت في الأشهر التي سبقت العملية. وعند مكوث المجموعة رفعت درجة التأهب إلى الذروة، خصوصاً في منطقة الحدود الشمالية مع لبنان. لكن ذلك، وبدل أن يثني المجموعة، زادها تصميماً على استكمال الخطة. كانت العملية عسكرية فصارت عسكرية - أمنية، إذ تبين أن المقاومة استفادت من هذا الوضع، لتقوم ببث مجموعة إشارات متناقضة ومتضاربة زادت من ارتباك

سيارتا الهامر الإسرائيليتان قبيل قصفهما

المجموعة التي تحضّر لأسر جنود أثناء المناورات الشتوية

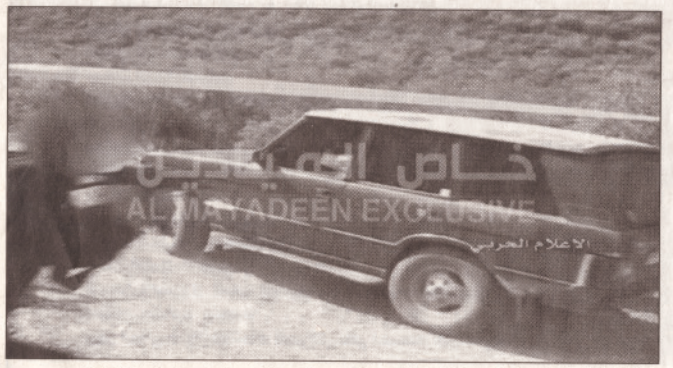

.. وأثناء المناورات الصيفية.. حيث استعملت سيارة من نوع «رانج روفر» كبديل لسيارة الهامر